

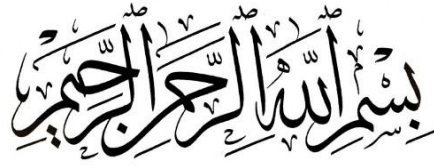


# مَعَاقِدُ الْأُصُولِ

ملخصٌ لدروس المرحلة الأولى  
« مقدمة في أصول الفقه »

إعداد

فوائد معاهد الأصول  fmaasol



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

إن أصول الفقه علم جليلُ القدر، بالغ الأهمية وغزير الفائدة؛ فائدته التمكُّن من حصول قدرة تستطيع بها استخراج الأحكام الشرعية من أدلتها على أسس سليمة؛ أي أنك إذا عرفت أصول الفقه، أمكنك أن تستنبط الأحكام الشرعية من أدلتها، وهي أهمُّ بالتحصيل وأولى بالدراية من غيرها، لأنها أصولٌ للعلم بمعنى أنَّ إدراك ما فوقها من مسائل العلم متوقفٌ على تحصيلها، لذا يقول العلماء: (من حُرِّمَ الأصول، حُرِّمَ الوصول). فمن حفظ المغني -وهو أكبر كتب الفقه- واستظهره وصار يقرأه كالفاتحة، سيبقى عاجزاً أمام أصغر نازلةٍ من النوازل المعاصرة، بسبب عدم امتلاك الآلة، وهي علم «أصول الفقه».

وعلم أصول الفقه يركز على شيئين: معرفة الأدلة الشرعية، ومعرفة طرق الاستدلال.

## نشأة علم أصول الفقه في عهد النبي ﷺ زمن الصحابة

كان علم أصول الفقه حاضراً في عهد الصحابة بما يتلقونه من رسول الله ﷺ، يضرب لهم الأمثلة ويعلمهم كيف يتعاملون مع قواعد الاستنباط وبمحاولاتهم في فهم النص، والنبي ﷺ يقوم ذلك كله فيصوّب ويخطئ ويبين، ومن أمثلة ذلك:

- فهم الصحابي لقول الله: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ حيث اتخذ عقالين أحدهما أبيض والآخر أسود يجعلهما علامة على الفجر، اجتهدا منه رضي الله عنه، فلما أخبر النبي ﷺ بين له عدم صحة محاولته لفهم النص الشرعي الشريف.
- لما نزل قول الله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) شق ذلك على الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وذلك لصيغ العموم في الآية، فكانت قواعد الأصول حاضرة عندهم.
- لما نزل قول الله: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨١) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٨٢) شق ذلك أيضاً على الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وذلك لصيغة العموم والقيود الذي خصصها في الآية، فدل ذلك على أن قواعد الأصول كانت حاضرة في أذهانهم.
- لما سمعت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قول النبي ﷺ: «من نوقش الحساب عذب» قالت: أليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَحْصِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨) قال: «ذلك العرض»، فقهِمَتْ عائشة صيغة العموم في قول النبي ﷺ، وقابلته بآية في كتاب الله تعالى، ظاهرهما التعارض، واستشكل عائشة هذا رضي الله عنها ليس قلة في الفهم، بل قوة في الفهم وبلوغ للدرجة العالية فيه، فالجمع بين النصوص التي يبدو في ظاهرها التعارض درجة راقية من درجات الفهم عن الأصوليين، وإعمال الدليلين أولى من إهمال أحدهما.
- قول الأعرابي للنبي ﷺ: إن امرأتي ولدت غلاما أسود. فقال النبي ﷺ: «هل لك إبل؟» قال: نعم. قال: «فما ألوانها؟» قال: حمر. قال: «هل فيها من أورك؟» قال: نعم. قال:

«فأني أتاها ذلك؟» قال: أراه عرقٌ نزعهُ. قال: «فلعل ابنك هذا نزعهُ عرق». وهذا عين القياس، حيث عمل به النبي ﷺ، وقرره، وعلمه للصحابة الكرام.

- عندما قال النبي ﷺ: «وفي بضع أحدكم صدقة» قال الصحابة: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرامٍ أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر». كان يمكن أن يقول (نعم) لأن المجيب هو المشرع ﷺ، لكن في جوابه ﷺ تعليم وتلقين وتوسيع لمدارك الاستنباط تربى عليه الصحابة رضوان الله عليهم.

ملكة الصحابة في التعامل مع النص:

○ لغة وسليقة.

○ تنمية من النبي ﷺ، كما في المثال السابق.

- ما روي عن نافع عن عبد الله قال: نادى فينا رسول الله ﷺ يوم انصرف عن الأحران أن: «لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة»، فتخوف الناس فوت الوقت، فصلوا دون بني قريظة، وقال آخرون لا نصلي إلا حيث أمرنا رسول الله ﷺ وإن فاتنا الوقت، قال الراوي: فما عنف واحدا من الفريقين. وهذه محاولة للصحابة في فهم النص، وهم كلهم يتعاملون مع نص واحد، لكن اختلف اجتهداهم في فهمه، فانقسموا في فهمهم إلى قسمين:

○ قسم اعتمد على ظاهر النص، وهؤلاء سلف أهل الظاهر.

○ قسم اعتمد على المعنى، وهؤلاء سلف أصحاب المعاني والقياس.

الصحابة بعدما انقضى الأمر سألوا النبي ﷺ رغبة في التعلم ليعلموا ماذا يصنعون إذا واجههم مثل هذا النص مستقبلاً، وهم يريدون درساً في الأصول: كيف نفهم قولك يا رسول الله؟ إن قول بعض العلماء: (لا اجتهد مع النص) يقصدون به لو أن خاص من الاجتهاد وهو «القياس»، لأن الدليل موجود لكن نحن بحاجة لاجتهاد ل (فهم النص واستنباط الحكم منه).

إذن: تطبيق الأصول «علمًا ذا قواعد وطرق واستنباط ودلالات وفهم» كان موجوداً في حياة الصحابة زمن النبي ﷺ.

## علم أصول الفقه في زمن الصحابة بعد موت رسول الله ﷺ

أمثلة على مسائل اجتهادية لم يكن فيها نص قطعي، كانت بحاجة إلى إدراك وجه التنزيل فيها وإصابة الحكم بعد موت النبي ﷺ:

- اختيار خليفة رسول الله ﷺ.
- إيفاد جيش أسامة رضي الله عنه.
- جمع المصحف.
- كتابة الحديث النبوي وجمعه.
- حروب الردة.
- استحداث الدواوين، والنظم الجديدة.

### قاعدة:

كل فعل تركه النبي ﷺ مع وجود المقتضي له وانتفاء المانع؛ يجب علينا تركه إلى يوم القيامة. تطبيق القاعدة على حادثة جمع المصحف:

■ زمن النبي ﷺ.

المقتضي: لا يوجد لأن الصحابة حفظوا.

المانع: أن القرآن ما زال ينزل.

■ زمن خلافة أبو بكر.

المقتضي: حادثة مقتل الحفّاظ وكثرة قتلهم في الغزوات.

المانع: انتفى لانقطاع الوحي.

إلى الآن لم يصر بعد هذا العلم مكتوباً في كتب ولا مصنفات، لا زال علماً في الصدور والعقول يمارسونه بالنظر والاستنباط والخلاف والنقاش.

## علم أصول الفقه في عهد التابعين وأتباع التابعين

تعلم التابعين علم أصول الفقه من الصحابة -رضي الله عنهم- كما تعلم الصحابة هذا العلم من رسول الله ﷺ، تعلموه من خلال التأثير بطرائق الصحابة في النظر في الأدلة وطرق الاستنباط وقواعد الدلالات وما إلى ذلك، ولا زال العلم عند التابعين محمولاً في الصدور، ولم تبرز مسأله على شكل قواعد ولا مسائل نظرية، ولم تصنف فيها الكتب حتى جدت عدة أمور دعت إلى تدوين علم الأصول:

- الفتوحات واتساع الرقعة الإسلامية.
- ضعف اللغة، وانتشار العجمة.
- قلة الصحابة رضي الله عنهم.
- قلة رواية الحديث الشريف.
- نشأة الفرق والمذاهب المخالفة في نصف القرن الثاني الهجري.

### أقوى الأمور التي أضعفت مسيرة العلم في انتقاله الوراثي عبر الأجيال:

نحن نعرف أن أكبر العوامل التي أعانت جيل الصحابة على التمكن من هذا العلم هو اللسان العربي الذي يمتلكون، فلما فتحت البلاد وكانت كثير منها غير عربية، أصبحت تبتعد مسافة أكثر عن التعامل المباشر مع النص، فتحتاج أولاً إلى تعليم اللغة العربية، ثم إلى التمكن في تمكّن العرب، ثم تحتاج أن يكون لهم ممارسة واسعة واسعة في النصوص ليبلغوا مبلغ الجيل السابق في الفهم والاستنباط وقوة التعامل مع الدليل، وهذه من أقوى الأمور التي أضعفت مسيرة العلم في انتقاله الوراثي عبر الأجيال.

### أبرز الأمور التي دفعت أتباع التابعين إلى حفظ هذا العلم وتدوينه:

لما اتسعت بلاد الإسلام ظهرت الفرق المخالفة لما عليه السلف، وأرباب هذه الفرق يستدلون لمذاهبهم بالأدلة الشرعية! فهو يستدل بالنصوص وهو يتكئ على جملة من القواعد التي يفهم بها النص، وهي طرق عقيمة وفاسدة. كطريقة الخوارج في الاستدلال على كفر مرتكب الكبيرة بحديث: «لا إيمان لمن لا أمانة له» و «ليس منا...» .

هذه الطرق العقيمة في فهم النص شيء جديد ظهر في الأمة كان مرتبطاً بظهور المذاهب والفرق، إلى ما قبل ذلك كان الفهم سليماً، والصحابة ورثوا هذا الفهم السديد لمن جاء بعدهم. هنا ظهرت الحاجة جلية إلى أن يكون هذا العلم محفوظاً كي لا يضيع بين هذه المآخذ، مثل: ضعف اللسان، وضعف رواية الحديث في البلاد البعيدة عن الحجاز، وضعف الاستنباط الصحيح والتعامل السليم مع الأدلة.

## رسالة الإمام الشافعي رحمه الله

الشافعي وضع أصولاً لعلم لم يسبق في التاريخ أن أهل العلم كتبوا فيه ، وهذا يدل على عبقرية وذكاء متفرد وتميز في القدرة والملكة، وكتابه «الرسالة» هو بمثابة اللبنة الأولى التي وضعها علماء الإسلام في التأليف في أصول الفقه على الإطلاق، سبب تأليفها أن شيخه عبدالرحمن بن مهدي كتب إلى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن، ويجمع قبول الأخبار فيه، وحجة الإجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة، فوضع له كتاب «الرسالة»، فحمل «الرسالة» الحارث بن سريج، الذي لقب بالنقل، ثم جمع الإمام الشافعي كتابه في مصر قبل وفاته بعد ٢٠٠ هـ، ولم ينقل إلينا شيءٌ مدوّن في علم الأصول قبل الرسالة.

من أهم أركان علم الأصول: الإلمام والدراية التامة بلسان العرب. لأنك تتعامل مع القرآن والسنة وهذه نزلت بأفصح ما يكون عليه لغة العرب، وقد بلغ علم الإمام الشافعي باللغة أن الأصمعي - إمام اللغة في عصره بلا منازع- يذكر للشافعي إمامة في اللغة وأنه يحضر مجالسه يتعلم منها فيه.

### مميزات كتاب الشافعي:

- أن مؤلفه هو الإمام الشافعي، وحسبك به.
- أنه أول مصنف في أصول الفقه، وهذا السبق دليل على عبقرية صاحبه.
- جودة الترتيب وحسن التنظيم لمسائل الكتاب.
- استيفاء مسائل علم الأصول، على خلاف المعتاد في بدايات التصنيف.

### موضوعات كتاب الرسالة:

(المقدمة، البيان وأنواعه، القرآن ومكانته في التشريع، مسائل العموم والخصوص وبعض صيغه، السنة وحجيتها، النسخ وأنواعه، بيان السنة للكتاب، علل الأحاديث، بيان السنة للسنة، النهي، خبر الواحد وحجيته، مسائل الإجماع، القياس والاجتهاد، الاستحسان، الاجتهاد في الحديث، حجية أقول الصحابة، العمل عندما ينفل عن بعض الصحابة عملاً في مسائل اجتهادية لا نص فيها)



## مراحل نشأة وتدوين علم أصول الفقه بعد رسالة الشافعي

### القرن الثالث

- التأليف في هذا القرن لم يشمل جميع مسائل علم الأصول، ولكن كان في مسائل جزئية أشبه برسائل، كحجية خبر الواحد أو الإجماع أو القياس .. إلخ
- ارتبط التدوين بتبني مذهب أو الرد على مذهب.

### القرن الرابع

- بدأ التدوين على شكل كتاب متكامل يجمع أبواب أصول العلم المتتابعة، ككتاب "الفصول" للإمام أبي بكر الجصاص الرازي الحنفي.

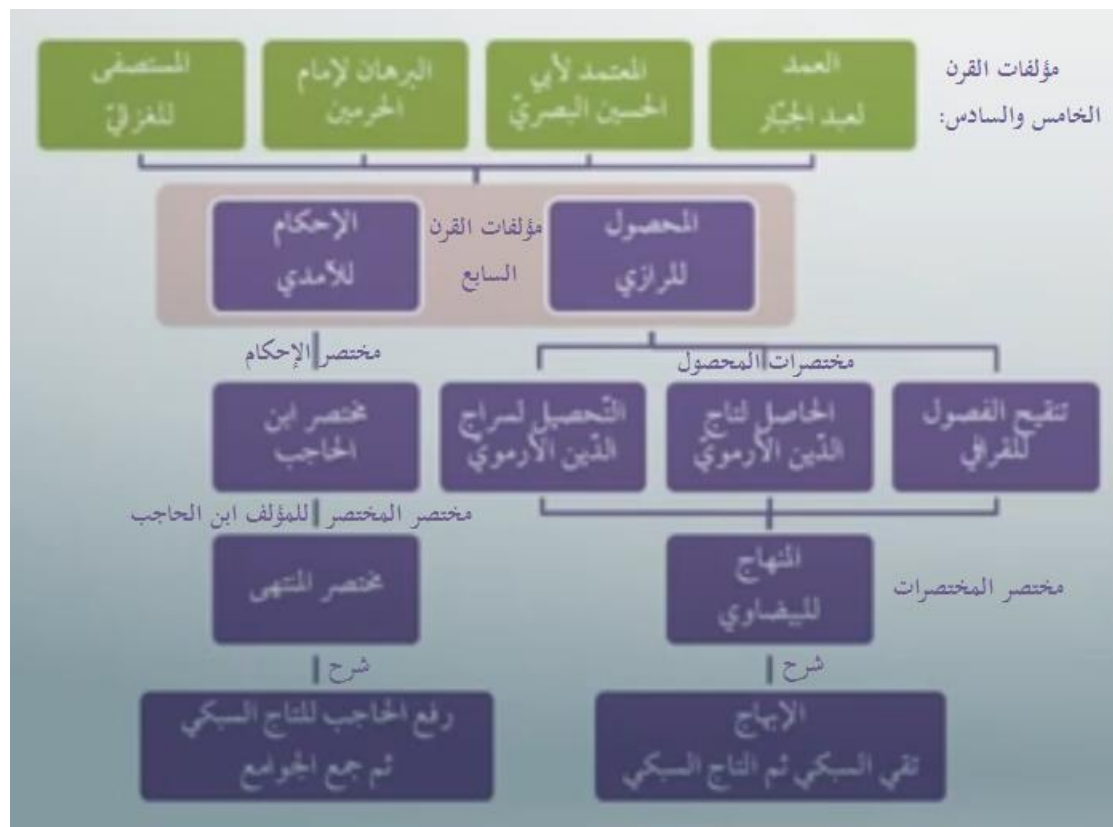
### القرن الخامس والسادس

- وهي المرحلة الذهبية للتدوين في علم الأصول، التي صنفت فيها أمهات كتب علم الأصول ومراجعته الكبار وأصوله المعتمدة في هذا الفن عند أرباب الفن والأصول، دَوَّنَتْ فيها أربعة كتب تعد أركان علم أصول الفقه عند المتخصصين وهي :
  - العُمد للقاضي عبد الجبار .
  - المعتمد لأبي الحسين البصري .
  - البرهان لإمام الحرمين الجويني .
  - المُستصفى لحجة الإسلام الغزالي .

## مسيرة التأليف في علم أصول الفقه في القرن السابع وما بعده

أُلّف في القرن السابع كتابين اكتسبا مكانةً عند الأصوليين باعتبار أن كلّ جهد بعدهما هو سالكٌ لطريق أحدهما: المحصول للرازي، والإحكام للآمدي، اكتسب هذان الكتابان مكانةً معتبرةً عند الأصوليين باعتبار أن كلّ ما جاء من جهد أصولي بعد هذين الكتابين هو سالكٌ لطريق أحدهما في الجملة.

المحصول للرازي جمع ما سبق من الكتب التي صُنّفت في القرن الخامس في خليطٍ وصّبّه في قالب كتابه «المحصول».



ابن السبكي بعدما شرح المختصرين وألّم بهما إلمامًا جيدًا ووجد نفسه قد استوعب الكتابين الذين يدور عليهما شغل الدارسين للأصول في تلك المرحلة، شجّع ذلك أن يُنشئ مختصرًا جديدًا في الأصول أسماه «جمع الجوامع».

## منهج طلب علم الأصول

- (١) العناية بالمختصرات المبتدئة.
- (٢) الاعتناء بشرح أحد المختصرات، مع الرجوع إلى أمهات الكتب.
- (٣) التوسع في أمهات كتب الأصول، وفي الأبحاث الأصولية.
- (٤) جني ثمرة علم الأصول، وهي التطبيق.

خلل منهجي يقع فيه كثير في تعلم علوم الآلة:

وهو استهلاك جلّ الجهد والوقت في التعامل النظري مع هذا العلم، والتقصير في جانب التطبيق والممارسة.

## المذاهب الأصولية

المذاهب العلمية في أصول الفقه:

- ١) مذهب الحنفية «أو الفقهاء».
- ٢) مذهب الجمهور «أو المتكلمين»، وهم المالكية والشافعية والحنابلة.

هذا التقسيم الذي استمر عند الأصوليين من تقسيم المذاهب إلى مذهبين هو بالنظر إلى الطريقة التي سلكها الأصوليون في تدوين علم الأصول (منهجية التأليف).

ومن المذاهب أيضاً مذهب الظاهرية وهو مذهب مستقل تماماً، استقل باعتماده على أصول كبرى خالف بها المذاهب الأربعة، وأشهر أصل يخالفون فيه هو جمودهم على ظاهر النص وإغفال ما عداه، وذلك سبب تسميتهم الظاهرية، والجمود معناه أنه لا يلتفت إلى معنى يتضمنه النص وذلك صار من كبريات مسائلهم في الأصول نفهم للقياس، وهم يلتقون مع الجمهور في كثير من المسائل، لكن لما كان خلافهم في مسائل كبرى، كان مذهبهم مستقلاً. وخلاف الظاهرية معتبر، فيما عدا خلافهم في القياس، لأن القياس ثبتت الحجة به من زمن النبوة.

### منهجية تدوين علم الأصول:

- الحنفية: يستنبطون القاعدة من خلال فتاوى وأقوال وتصرفات أئمة المذهب الحنفي وفقههم، فلماذا تسمى طريقة الفقهاء لأنها تعتمد على الفقه مباشرة وتستقي منه وتبني عليه.
- الجمهور: يقررون المسائل ويناقشون القاعدة علم الأصول بالنظر إلى المسائل والقواعد من حيث هي بتجرد دون النظر إلى موقف المذهب منها، فيحاكم القاعدة إلى ادلتها العقلية (ماذا لو قال السيد لبعده..) واللغوية (ماذا تريد العرب بصيغة كذا..) والشرعية.

ينتقد الجمهور طريقة الحنفية لأنهم جعلوا الفروع الفقهية أصلاً للأصول وهذا خلاف المنطق، ويرون أن الصواب والأسلم والأعدل في تحرير وصياغة قواعد هي محل تحكيم مع كل حادثة؛ ينبغي أن تناقش على محك الموضوعية ولا يصح إخضاعها إلى أي اجتهاد بل تناقشها حيث هي.

وسُمِّي الجمهور بالمتكلمين نظرًا لطريقتهم (منهجيتهم) في التأليف، وليس المقصود فيه علم الكلام المذموم.

أحد معايير التقسيم التي يراها الشيخ حسن بخاري:

هي أن طريقة الحنفية في تقريرهم للقواعد الأصولية في بعض المسائل التي غدت أمهات مسائل علم الأصول جعلت من الحنفية مذهبًا مستقلًا في ما صار الجمهور إلى رأي مقابل، فأصول مسائل علم الأصول كثر فيها انفراد الحنفية في مذهب، واتفق الجمهور مقابلهم على مذهب، فصار من نتاج هذا الوصف أن يصبح الجمهور في كفة يقابلون الحنفية. مثالين:

• الخلاف في دلالة العام أقطعية هي أم ظنية؟

الجمهور: على أنها ظنية «يحمل العام على الخاص "التخصيص"».

الحنفية: على أنها قطعية «لا يحمل إلا إذا اقترن به، أما إذا لم يأتي معه فالحكم للمتأخر

منها زمنًا».

• العمل عند تعارض الأدلة الشرعية ولم يثبت النسخ؟

الجمهور: الجمع مقدم على الترجيح.

الحنفية: الترجيح مقدم على الجمع.

## المذاهب العقدية في أصول الفقه

التشابه في مباحث علم الأصول مع مباحث علم العقيدة أغرى كثيراً ممن كتب في العقيدة أن يكتب في الأصول، وإن لم تكن له عناية بالفقه. دخلت مسائل الاعتقاد في صلب علم الأصول في القرن الخامس، فأدخل القاضي عبد الجبار والقاضي الباقلاني كثيراً من مسائل الاعتقاد على مسائل الأصول ضمناً أو تصريحاً. أكبر الاتجاهات العقدية التي برزت في علم الأصول: اتجاه الأشاعرة، واتجاه المعتزلة.

سمات ظهور هذه المذاهب العقدية داخل علم الأصول:

- المبالغة في التجريد العقلي.
- نزعة المذهب العقدي للمصنف في تقرير مسائل علم الأصول.
- انقلاب بعض أبواب الأصول إلى معترك عقدي.

آثار دخولها في علم أصول الفقه:

- الانتصار للمذهب العقدي داخل كتب الأصول.
- ضعف الأثر الفقهي على حساب التجريد الكلامي الخاص.

الحمد لله رب العالمين